

## (تذكر أن) مختارات تفسير جزء تبارك الدرس الرابع

- قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ من حكمة الله أنه يُعطي مَنْ يشاء بفضله، ويُعاقب مَنْ يشاء بعدله، ولا يظلم ربنا أحداً.
- قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ لا يستويان مثلاً، وتأبى حكمة الله -عز وجل- أن يكون هؤلاء كهؤلاء، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الجاثية: ٢١]، ما يكونون! الظلمات ما تستوي مع النور، ولا الظل ولا الحرور، هذان متضادان، فللمسلمين جزاء وثواب، وللمجرمين جزاء وعقاب، وكل ذلك بفضل الله تعالى للمؤمنين، وبعده مع المخالفين.
- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، أي أن هؤلاء المجرمون بماذا يحكمون بأنفسهم، وبأي حجة يدافعون عن باطلهم؟.
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، يعني: هل لكم كتاب درستم فيه أنكم على حق، وعلى هدى، وأن من خالفكم على ضلالة؟ كل هذا تخرُّصٌ وأسلوبٌ عنادٍ من باب ردِّ الحق، وإحقاقِ الباطل.
- قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هَبْ أَنْ لَكُمْ كتاباً كما تزعمون، فتخيروا إذن ما شئتم. فأنتم على ضلالٍ ليس لكم حجة، وليس لكم برهان، وكل ما تقولون وتفعلون من دواعي الشيطان والكبر.
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: هل لكم عهود ومواثيق في زعمكم هذا؟ أنتم الآن مُصِرُّون على باطلكم. ما الذي دعاكم للباطل؟ هل عندكم كتاب فيه هذا الأمر؟ هل عندكم منّا مواثيق وعهود على ما أنتم عليه؟.
- قال تعالى: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ من الكفيل ومن الضامن لكم؟ من المدافع عنكم؟ من تكفل لكم بأنكم على حقٍ وضمن لكم النجاة من عذاب الله؟
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فهؤلاء الشركاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فضلاً عن أن يدافعوا عن غيرهم.
- قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ فهم ما تركوا سبيلاً ولا حجة ولا شبهة إلا لِسُوها في سبيل ردِّ الحق، فليس لكم علينا أيمان ولا عهود، ولا مواثيق، وليس لكم ضامن يضمن لكم النجاة، ولم ينزل عليكم كتاب، إنَّما كل هذا بما تهوى أنفسكم.
- ثم قال ربُّنا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ جاء في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالى عنه- أن يوم القيامة: "يكشف ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى كلُّ من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طيقاً واحداً".
- من أبي السجود، "فيكون ظهره كصياصي البقر، لا يستطيعون"، والساق صفةٌ لله تعالى تليق به،

<sup>١</sup> صحيح البخاري (٤٩١٩). ولفظه "يكشف ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى كلُّ من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طيقاً واحداً".

<sup>٢</sup> اللفظ: "وتبقى أقدام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون" صغفه الألباني في تخريج كتاب السنة (٦٣٠).

والقاعدة: القول في صفة كالقول في سائر الصفات، وما أثبتته الله تعالى لنفسه نُثبتته حقيقةً دون تشبيه أو تكييف أو تمثيل.

قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ فأبصارهم خاشعة من الذل، ويُرهِقهم ذلُّ المعاصي، فذل المعاصي إذا لبسه أو كُسي به الشخص يكون عقوبة من الله وعلامة الخسران.

وقد كانوا في الدنيا يُدعون إلى السجود وهم سالمون، والحقُّ أبلج، لكن لما كابروا وعاندوا، كان جزاؤهم كما قال الله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

والجزاء من جنس العمل. فهم عاندوا في الدنيا، فلم يُوفَّقوا في الآخرة، ومن أطاع في الدنيا، وُفِّق في الآخرة.

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن الكريم يسمى "حديثًا" في آيات كثيرة، ومنها: ﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ الاستدراج: أن يفيء عليهم من نعم الدنيا كالمال والبنين والمساكن والضياء والأصحاب؛ فهذا الاستدراج يظن أنه في قوّة وفي خير وعلى هدى.

قال تعالى: ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولهذا ورد في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ»<sup>٣</sup> يعني بنعمه وخيراته «فإذا أخذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»، وما يسبغه الله على الشخص من نعم قد تكون رفعة له، وقد تكون عقوبة عليه، فإذا وظَّفها في طاعة الله فهي رفعة له، أمّا إذا وظَّفها في معصية الله فهي عقوبة وحجّة عليه.

قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ إذا أخذ الله أحدًا أخذه كما وصف في قوله: ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ [القمر: ٤٢]، ﴿وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَقَمَا لَهُ مِنْ مَّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، يعني: قد يتوعدك في الدنيا صاحبُ جاهٍ وسلطانٍ وقوّة، لكن قد لا يستطيع أذيتك، فقد يموت، وقد ينسى، وقد يضعف، وقد تفرّأت منه، أمّا في شأن الله لا مفرّ من الله إلّا إلى الله.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ يعني: أنت الآن هل سألتهم أجرًا على دعوتك لهم وتناقلوا هم هذا الأجر؟

قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾، يعني هل يعلمون الغيب حتى يضمنوا نجاة أنفسهم؟ وهذه كلها قواطع لباطلهم.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الحكم هنا حُكمان: الحكم القدري، والحكم الشرعي، وكل مسلم مأمور بأن يصبر لهذين الحكمين.

❖ **الحكم القدري:** ما يُصيبك من المصائب في الدنيا من أقدار الله، اصبر لا تتجزّع، لا تتسخط، لا تعترض على قضاء الله وقدره، هذا الصبر على الأحكام القدريّة.

❖ **الصبر على الأحكام الدينيّة** يكون بامتنال الأوامر واجتناب النواهي بالتسليم والقبول والانقياد وعدم الحرج، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: ٦٥]، لاحظ قال: ﴿حَرَجًا﴾ وهي نكرة، أي: لا يكون لديك أدنى مثقال ذرة من الحرج، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] يعني الانقياد، وعدم الممانعة، بدون توقف أو تردد.

<sup>٣</sup> صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٦١).

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يونس بن متى -عليه الصلاة والسلام- أُلقي في بطن الحوت.
- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، أي: مهمومٌ مغمومٌ.
- فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ، قيل الظلمات هي: ظلمة الليل، والبحر، وبطن الحوت. فقال: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].
- قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كل شيء لا يكون إلا بتوفيق الله، لا يكون شيء من خير في هذه الدنيا، ولا رفع بلاء، إلا إذا شاء الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].
- قال تعالى: ﴿لَنَبْذِ بِالْعَرَاءِ﴾، العراء: هو الأرض الخالية الجرداء، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكن الله اجتباه وتاب عليه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قال بعضهم: من شدة نظرهم، أي: ينظرون شزراً بحقد وعداوة للنبي -عليه الصلاة والسلام- إذا قرأ القرآن الكريم.
- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ يعلمون أنه أعقل العقلاء، وهذا العلم علم يقيني عندهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ولكن: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].
- قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، أي كل العالمين.
- الحاقة سورة مكيّة، وهي اثنتان وخمسون آية، وورد فيها حديث لكن لا يصح: "من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً".
- سورة الحاقة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾، والحاقة: هي اسم من أسماء يوم القيامة، والقيامة لها أسماء كثيرة، منها: القارعة، الحاقة، الطامة، الصاخة، إلى آخره.
- فالاستفهام في صدر الكلام يجعل السامعين يتنبهون ويتيقظون أكثر، لاحظ أن القرآن الكريم فيه كثير من هذا الأسلوب ﴿الْقَارِعَةُ \* مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢]، ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ﴾ في ثانيا الكلام ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٦، ١٧]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩].
- قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾، أساليب استفهام غرضها التشويق لما سيكون بعدها، إذن نستفيد أن طالب العلم، أو الواعظ، أو المتكلم؛ يحاول أن يضمن كلامه استفهاماً يجيب عليه، أو يجعل السامعين يشاركونه في الجواب، فيكون ذلك أرسخ في أذهانهم.
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ تكذيب الرسل، وما وعدوا به، وما أخبروا به من أمور العقائد، هذا دأب أعداء الرسل دائماً.
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾، ثمود هم قوم صالح، وديارهم الحجر، ﴿وَعَادُ﴾ قوم هم هود.
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، يعني بالقيامة، كما كذبت قريش بالبعث، فكان الجزء من جنس العمل لما كذبوا وأنكروا وجحدوا.
- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، وقد جاء في سورة الأعراف، وسورة هود تفصيل لما أصابهم، يعني أشمل مما جاء هنا بالإجمال.

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، الصرصر: الباردة الشديدة، العاتية المزعجة.
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ ما كانت يومًا واحدًا، أو ساعة واحدة، ولكن كان عذابًا أليمًا وفظيعةً حكمة من الله تعالى.
- قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعة، يسمون صاحب الكي الذي يكوي: حَسَم، أي يعود ثم يكوي ثانية، ثم ثالثة، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ بلياليها.
- قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ نخلة قديمة في عمرها، خوت ذبلت، يبست، سقطت.
- قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ انتهى أمرهم، هذا العذاب لو كان ساعة واحدة لقضى عليهم، ولكن الله جعله سبع ليالٍ وثمانية أيام من باب شناعة جرمهم وخطيئتهم.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

